الكرازة خبرة إنجيلية يومية

يُعتبر القرنان الرابع والخامس العصر الذهبي لكتابات آباء الكنيسة في ميادين كثيرة، منها ميدان الشهادة لإنجيل المسيح والكرازة والكهنوت. هذا وقد جاءت كتابات الآباء بكل فروعها تحمل روح الكرازة والشهادة للسيد المسيح وعمله الخلاصي، سواء تفاسير الكتاب المقدس أو العظات على فصول منه. كما جاءت الكتابات الخاصة بالحياة الروحية والكتابات الدفاعية تحمل هذا الروح، حتى الكتابات التي أشارت إلى الطقوس الكنيسة، بل والنسكيات تبعث في القارئ الشوق الحقيقي للكرازة والشهادة للسيد المسيح.

كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس - سبورتنج

عندما تحدّث **القديس يوحنا الذهبي الفم** مع الكهنة قال: **[أيها الكاهن أنت أب العالم كله]**، وليس أب المسيحيّين وحدهم. أما بالنسبة للشعب، فكان أحيانًا يردد عليهم العبارة: "**أنتم الأسقف**". إذ كان يشعر أن الشعب أقدر من الأسقف أو الكاهن على الكرازة، إذ يختلطون بالآخرين في الأسواق والأعمال والمدارس. فالطفل يمكنه بالأكثر أن يجتذب صديقه الطفل للإيمان العملي الحي من الكاهن! وهكذا الشاب مع صديقه الشاب، والسيدة مع صديقتها.

يرى **القديس مقاريوس المصري**، كقائدٍ حيٍ للحركة الرهبانية أنه لا خلاص حتى للراهب إلا في خلاص إخوته.

يقول **القديس أغسطينوس**: [يريد البعض أن يضعوا حدودًا للحب بأفريقيا! إن أردت أن تحب المسيح، **أبسط يدك بالحب على كل العالم**، لأن أعضاء المسيح منتشرة في العالم كله[1].]

سمات الخدمة كما يراها آباء نيقية وما بعد نيقية

لست أريد أن أكرر ما سبق أن أشرت إليه عن روح الخدمة كما رأيناها في كتابات آباء ما قبل نيقية، إنما أضيف إليها السمات التالية، والتي تمثل جوانب مختلفة لحياة واحدة في المسيح يسوع المصلوب.

١ الكرازة بضرورة أخذ قرار داخلي مصيري

ما يشغل **القديس يوحنا الذهبي الفم** الكرازة **بالتوبة كأخذ قرار مصيري يمس أعماق الإنسان**، أي قلبه. بهذا القرار المصيري ينتقل المؤمن من شريحة أولاد إبليس إلى أبناء الله، أو من فئة الأشرار إلى فئة الأبرار. [من يمارس التوبة بعدما يخطئ يستحق لا الحزن عليه، بل **تهنئته، إذ يعبر إلى خورس الأبرار**[2].] يتعرف الإنسان على نعمة الله القادرة أن تُحَوّل القلب من الفساد إلى عدم الفساد. بل وتُقيم من القلب الترابي سماءً جديدة، ومن البشر شبه ملائكة. يتمتع خلال هذه المعرفة بقوة الروح، فيتحدى إبليس بكل قواته، والخطية بكل إغراءاتها، والعالم بكل حيله وخداعاته. يحيا بروح القوة واليقين كابن الله، يصرخ مع الله: "اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك". [التوبة نار تلتهم كل ضعفٍ بشري، تنزع التهاون والكسل وثقل الجسد، **وتعطي للنفس جناحًا تطير به نحو السماء**، ويظهر لها خلال هذه القمّة المرتفعة بطلان هذه الحياة الحاضرة.]

② الكرازة بالحياة الجديدة كعيدٍ دائم في القلوب

يليق بالخادم وسط آلامه أن يكرز بالحياة المفرحة، كما كان يفعل **البابا أثناسيوس الرسولي:** [ليتنا لا ننسى ما قد سلمه... أي عن قيامة الرب، إذ يقول عنه إنه أباد الذي له سلطان الموت أي الشيطان وأنه أقامنا معه، إذ حلّ رباطات الموت، ووهبنا بركة عوض اللعنة، وأعطانا الفرح عوض الحزن، وقدم لنا العيد عوض النوح، ذلك في الفرح المقدس الذي لعيد القيامة، **العيد الدائم في قلوبنا**، إذ نفرح به على الدوام كأمر بولس: "صلوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء" (١تس ٥: ١٧)[٣].]

[إذ هو الراعي، ورئيس الكهنة، والطريق، والباب، وكل شيء في نفس الوقت لأجلنا، **هكذا يظهر أيضًا "عيدًا" لنا**، كقول الطوباوي بولس: "لأن فصحنا المسيح قد ذبح" (١كو ٥: ٧)... لأنه إذ يتوق القديسون إلى هذا كل حياتهم، يكونون كبشرٍ فرحين بعيدٍ[٤].]

③ الترفق بجميع الخطاة

أعلن السيد المسيح: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦). جاء كلمة الله، شمس البرّ، ليشرق بنوره على الجالسين في ظلمة القبور، فيتمتعون بنور قيامته. جاء ليقيم كل نفسٍ من حالة التغرب عن الله مصدر حياتها. الكرازة بالمسيح هي تقديم خبرة هذه الإنارة التي يتمتع بها كل مؤمن – كاهنًا أو من الشعب – ليجتذب بروح الله القدوس كل نفسٍ، فتطلب نور المسيح وتتمتع بحياته المقامة. فالمسيحي أيا كان عمره أو ثقافته أو إمكانياته أو مركزه هو سراج يحمل نور المسيح، فإن لم يبعث هذا النور على من هم حوله، يفقد سمته كإنسانٍ مسيحيٍ.

عمل الكنيسة الأول هو البحث عن كل نفسٍ لكي تتمتع بخلاص المسيح، سواء من المؤمنين مهما كان سقوطهم أو من غير المؤمنين. يؤكد **القديس أغسطينوس** أن أي إنسان مادام فيه نَفَسٌ ولو كان النفس الأخير، فإن الله ينتظر خلاصه، وإلا لما أعطاه هذا النَفَسَ.

يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** دعوة للاقتداء بالرسول بولس. فمع إدراكه بعجزه، آمن بالله الذي دعاه رسولاً للأمم، فلم يكف عن أن يدعو كل نفسٍ للتمتع بما يتمتع هو به. فمن كلماته:

- الحب الذي من أجل الله لا يحمل هذا (التمييز بين البشر) كأساسٍ للحب، بل كإنسانٍ يميل نحو كل البشرية، يحب من لهم إيمانه بكونهم إخوة حقيقيين، ويحب الهراطقة

والوثنيين واليهود بكونهم إخوة بالطبيعة، متأسفًا عليهم، عاملاً بتعبٍ وباكيًا من أجلهم.

- إن كان هذا يستحق الإعجاب في الله، فكم بالأولى يستحق البشر الإعجاب (بحبهم للجميع)[٥].
- إن كان يونانيًا (أمميًا) أو أيا من كان فلننح عليه، لأن ذكر الصليب عنده جهالة، مع أنه حكمة الإله وقوته!
- الغيرة من أجل خلاص النفوس في عيني الله أفضل من صنع المعجزات، كالتي فعلها موسى حين أخرج الشعب من مصر، لأن هذه كلها لا توازي غيرته الإلهية ومحبته المضطربة حين يشفع عند الله من أجل الشعب قائلاً: "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت" (خر ٣٢: ٣١). فموسى لم يتشرف بجميع ما صنعه من عجائب قدر ما تشرف بهذا الكلام العجيب.
- لست أريد أن يخلص الكثيرون بل الكل، فإن بقي واحد في الهلاك، أهلك أنا أيضًا. يبدو لي أنه يجب الاقتداء بالراعي الذي له التسعة والتسعون خروفًا، لكنه أسرع وراء الخروف الضال[٦].
- أؤتمن (الكاهن) على العالم كله، وصار أبًا لجميع الناس[٧].
- ليس شيء تافهًا مثل مسيحي لا يهتم بخلاص الآخرين.

ويقول **القديس يوحنا الدرجي**: [التقرب بنفسٍ واحدةٍ إلى الله بالتوبة أفضل عند الله من جميع القرابين إذ ليس في العالم عند الله أفضل من النفس الإنسانية. لأن كل ما في العالم يزول إلاَّ النفس المذكورة فإنها لا تزول.]

أفاض **القدِّيس أمبروسيوس** في الكشف عن ضرورة الترفُّق بالخطاة الضعفاء في رسالتين عن "التوبة"، إحداهما وجَّهها إلى أتباع نوفاتيوس، الذين رفضوا قبول توبة منكري الإيمان بسبب الخوف من الاضطهادات، وغيرهم ممَّن ارتكبوا خطايا حسبها أتباع نوفاتيوس أنَّها لا تُقبل عنها توبة.

- يقولون إنه يجب ألاَّ نقبل منكري الإيمان في الجماعة مرَّة أخرى، إذ دنَّسوا المقدَّسات، الأمر الذي يستثنيهم من نوال الغفران، وبالتالي يجب أن نقسو عليهم... لقد حسبوا بعملهم هذا أنَّهم يعطون الرب مهابة عظيمة... لكن الحقيقة أنه لا يوجد من يسيء إلى الله مثلهم... يا له من تجاسر وقح، وليس هو خوفًا مقدَّسًا، إذ تزدرون بمن يشاءون التوبة!

يقول **القدِّيس غريغوريوس النزينزي:** [الذي وضع حياته من أجل خرافه بحث عن الضال على الجبال والتلال... وإذ وجده حمله على كتفيه اللذين حملا خشبة الصليب[٨].]

٤ الكرازة بأن الله خلق الإنسان فائدًا!

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن الله خلق الأرض وكل ما عليها وما تحتها وأوجد الكواكب كإعداد لقيام وكيله أو سفيره على الأرض، الإنسان. إنه كمن يعد قصرًا ملوكيًا لأجل الملك.

الله، في أبوته العجيبة وحبه للإنسان، خلق أبوينا الأولين كملك وملكة، **صاحبي سلطان على كل الخليقة الأرضية**، لهما روح القيادة الصادقة التي على مثال القيادة الأبوية الإلهية الفائقة.

- منْ مِنَ الكائنات الأرضية خُلق على صورة الله إلا الإنسان؟ ولمن أُعطى السلطان على كل الطبيعة ومخلوقاتها ليختصها لذاته؟ إنه شرف أصيل يكلل جبينه ويسمو به إلى السماء، فوق الكواكب، أرفع من الشمس تشامخًا وعزة... ومع أنه أوضع منزلة من الملائكة لارتباطه بجسدٍ مادي، فقد وُهب قوة لفهم ومعرفة ربه وخالقه[٩].

القديس باسيليوس الكبير

- جميعنا متساوون بالطبيعة[١٠].
- (خلقت البشرية في الأصل متكاملة) لكل واحدٍ سلطان أن يدير حياته بلا سيد يُلزِمه، أن تكون له حياة بلا حزن ولا تعب؛ فماذا يعني أن تُقاد إلا أن تُستعبد؟![١١]
- ليست الطبيعة بل (حب)؟ السلطة هو الذي قسم البشرية إلى عبيد وسادة[١٢].
- هذا الذي يخضع لك بالعادة والقانون هو مساوٍ لك في كرامة الطبيعة[١٣].
- حالة الاستقلال والحرية هي ميل الحكمة وتحرك لإرادة الإنسان[١٤].
- أسمى مشكلة للحرية هي كيف يكون الإنسان سيد نفسه[١٥].

القديس غريغوريوس النيسي

٥ الكشف عن حقيقة الحياة السعيدة

نزل الكلمة الإلهي إلى أرضنا ليشاركنا آلامنا، ويفجر في داخلنا ينابيع السعادة

الحقيقية. جاء لكي نقتنيه، فتكون لنا الحياة المطوبة، ويكون لنا الأفضل.

- الإنسان، الخليقة العاقلة، هو كائن عظيم ونبيل هكذا، فانه حتى في حالة سقوطه لا **يشبعه أقل من الله ليهبه راحة سعيدة**، ولا حتى ذاته تهبه السعادة. لذلك أقول سعيد هو من يقتني الله[١٦].
- ليست حياة غير التي صادرة من الله؛ الله هو الحياة الفائقة، مصدر الحياة[١٧].
- خلقتنا لك يا رب، ولن تستقر قلوبنا حتى تستريح فيك[١٨].
- لنسبح الآن يا إخوتي لا لكي نفرح بالراحة بل بتعبنا.

وذلك كالمسافرين الذين يغنون ويسبحون وهم سائرون في رحلتهم...

إن كنت تحقق تقدمًا، فأنت تسير إلى الأمام، ليكن لك تقدم في الصلاح، تقدم في الإيمان الحق، تقدم في الحياة المستقيمة... غنِ وكمل رحلتك.

- "لتغنِ وكمل رحلتك!"

"لتغنِ وتسير"

"لتغنِ وجاهد كجندي!"

نهاية غرضنا هو المسيح، فإننا إذ نحاول فيه وبه نصير كاملين. وهذا هو كمالنا أننا نستقر عنده[١٩].

القديس أغسطينوس

- أجسادنا ونفوسنا هي قيثارتنا تعمل في تناغم معًا بكل أوتارها في لحن![٢٠]

القديس جيروم

- يا ابن الله حرك ألحاني لتسبيحك، وبتراتيلها تهلل لك كل حواسي.

منذ البداية مُهيأ لساني لتسبيحك، ولو توقف عن تسبيحك يستحق القصاص.

ربي، لن أهدأ من التغني بتراتيلك، لئلا أُعذب من قبل العدالة في الدينونة العادلة.

فم الإنسان مهيأ لتسبيح اللاهوت، ومن يهدأ من التسبيح يُلام ويُحتقر.

لما خلق الخالق الفم، وضع فيه الصوت والكلمة ليتحرك للتسبيح...

ليس فم الإنسان مسلطًا ليستخدم الأخبار التافهة والكلمات غير اللائقة.

لما خلق الخالق الفم أتقنه لتسبيحه، وليس ليتلفظ بأمورٍ باطلةٍ[٢١].

القديس مار يعقوب السروجي

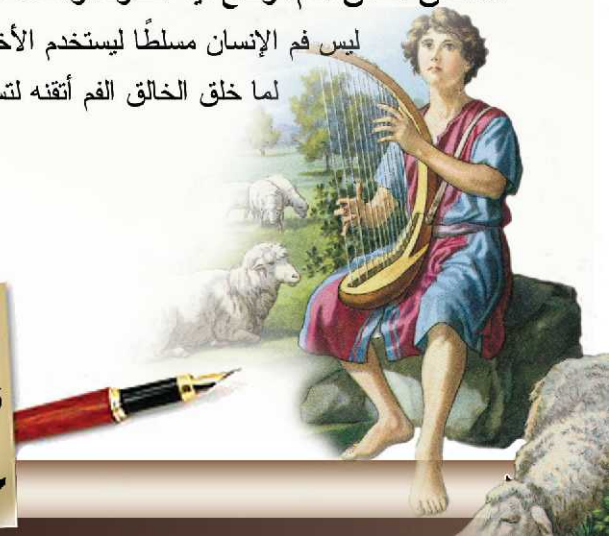

أجسادنا ونفوسنا هي قيثارتنا تعمل في تناغم معًا بكل أوتارها في لحن!

- لماذا نجاهد ووجوهنا عابسة؟! ألسنا ورثة الحياة الأبدية؟ اتركوا العبوس والوجوم للوثنيين، والعويل للخطاة، أما الأبرار والقدّيسون، فيليق بهم أن يمرحوا ويبتسموا، لأنهم يستمتعون بالروحيات.

القدّيس أبوللو

٦ الكرازة بالحب والقدوة

غير المؤمن لا يهذبه الوعظ الكثير والوصايا قدر ما يعلمه الحب والقدوة الحسنة. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** إن العمل المعجزي الذي به تجتذب النفوس للسيد المسيح ليس صنع عجائب وأشفية، إنما بالأكثر اتساع القلب بالحب والسيرة النقية الطاهرة التي تنير وسط العالم، والتي تمجد الله وتملح النفوس.

- إلى الآن لا يوجد شيء يعثر الوثنيين إلَّا عدم وجود الحب!
- لا تقدر المعجزات أن تجتذب الوثنيين مثل طريقة الحياة، وليس ما يجعل الحياة مستقيمة مثل الحب!
- ليس شيء يقيم احترامًا في الوثنيين مثل الفضيلة، ولا شيء يعثرهم مثل الرذيلة.
- نحن السبب في إبقائهم في الخطأ، إذ يعجبون بتعاليمنا ويتعثرون بسلوك حياتنا[٣].

القديس يوحنا الذهبي الفم

٧ الكشف عن قوة الصليب في حياتنا

الكرازة بالصليب إذا هو بالنسبة للرب مجد، حتى كان يتعجله من الآب قائلاً: "أيها الآب قد أتت الساعة، مجِّد ابنك ليُمجدك ابنك أيضًا" (يو ١٧: ١).

كان الصليب ولازال موضوع تمجيد الله. فعليه التقى الله بالإنسان، سحق خطاياه ودانها في جسده عوضًا عن الخطاة، مهلكًا إيَّاها ليحيل الخطاة التائبين المتجاوبين مع روح المصلوب في رجاءٍ بغير رعبٍ من يوم الدينونة.

هذا هو مجد الصليب، إنه قد دان خطايانا، ووهبنا أن نُصلب أيضًا معه، تصلب ذاتنا وحواسنا وكل طاقاتنا لكي تموت وتُدفن وتقوم، وعندئذ لا نحيا نحن بل يحيا المسيح فينا، ويعمل هو فينا. تكون لنا إرادة المسيح وفكر المسيح وعمل المسيح!

وهكذا بالصليب أيضًا صارت لنا حياة الغلبة والنصرة، على ذاتنا وعلى كل معطلٍ يعيقنا عن التمتع بالأبديات.

وبالصليب يموت الموت ويفسد سلطانه ونتمتع بالحياة، إذ نحمل في المسيح المصلوب الحيّ. هكذا بالصليب:

١. دينت خطايانا!
٢. صارت لنا حياة الغلبة!
٣. فسد سلطان الموت!
٤. نُصلب معه!

- لقد منع الرب تلاميذه من الكرازة به كابن الله (مت ٢٠: ١٦)، حتى يبشروا به بعد ذلك مصلوبًا.

هنا تكمن روعة الإيمان، ألا وهو تَفهُم حقيقة المسيح.

فبالصليب قد أُعطي الخلاص للعالم.

ما من إنسانٍ في التاريخ قد بلغ العظمة التي تؤهله لكي يرفع خطية العالم كله، فلا أخنوخ ولا إبراهيم، ولا إسحق الذي وإن كان قد قدم نفسه للموت، لكنه حُفظ إذ لم يكن قادرًا على إزالة وسخ الخطية.

فمن هو هذا العظيم الذي بموته تموت الخطايا؟! هذا لا يمكن أن يكون من البشر! لكن الله اختار الابن، ابن الله، الذي هو فوق الكل، وهو الذي يمكن أن يقدَّم عن خطايا الجميع!

لقد كان يلزم أن يموت، لأن بغلبته على الموت يقدر أن يُنقذ الآخرين، الذين هم كقتلى مضطجعين في القبور.

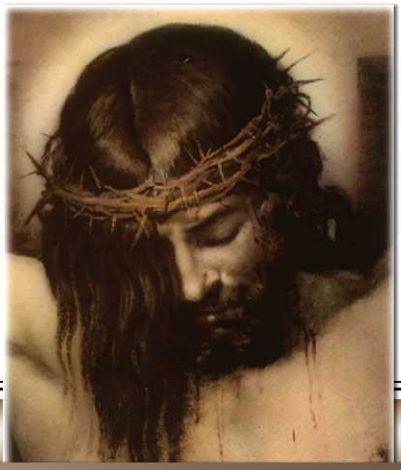

لقد كسر عبودية الشهوات، ولم تقدر قيود الموت أن تمسكه!

- ليتنا نذكِّر أنفسنا نفع الإيمان الحقيقي. فإنه من المفيد لي أن أعرف أن المسيح لأجلي حمل ضعفاتي، وخضع لآلام جسدي، حتى أنه لأجلي – أي لأجل كل أحد – قد صار خطية ولعنة (٢ كو ٥: ٢١، غل ٣: ١٣).

ومن أجلي قد اتضع وخضع!

ومن أجلي حمل الصليب!

صار لعنة، لا من جهة لاهوته، لكن من جهة ناسوته. إذ هو مكتوب: "ملعون كل من علق على خشبة" (غل ٣: ١٣).

بالجسد عُلق، ولأجل هذا صار لعنة ذاك الذي حمل لعناتنا!

لقد بكى، حتى لا تبكي أيها الإنسان كثيرًا.

يا له من علاج مجيد! أن تكون لنا تعزية المسيح!

لقد احتمل هذه الأمور بصبرٍ عجيبٍ من أجلنا، ونحن حقًا لا نقدر أن نحتمل الصبر العادي من أجل اسمه!

هوذا دموعه تغسلنا وبكاؤه ينظِّفنا!

القدّيس أمبروسيوس

- المجد للذي حل رباطاتنا، ورُبط من أجل جميعنا!

السبح للغني الذي دفع عنا ما لم يقترضه (مز ٦٩: ٤)، وكتب على نفسه صكًا وصار مدينًا!

بحمله نيره، كسر عنا قيود ذاك الذي أسرنا!

المجد لكرَّام عقولنا الخفي! بذاره سقطت على أرضنا، فأغنت عقولنا! ثمرُه جاء بمئة ضعف في كنز نفوسنا!

مبارك هو "الراعي" الذي صار حملاً لأجل مصالحتنا!

مبارك هو "الغصن" الذي صار كأسًا لأجل خلاصنا!

مبارك هو "العنقود" الذي هو دواء الحياة!

مبارك هو "الفلاح" الذي صار "قمحًا" لكي يُزرع، و"حِزْمة" لكي تقطع!

لنسبحه، فهو الذي أحيانا بتقليمه!

لنسبحه، فهو الذي حمل اللعنة عنا بإكليل شوكه!

لنسبحه، فهو الذي أمات الموت بموته!

لنسبحه، فهو الذي زجر الموت الذي تغلب علينا!

القدّيس مار افرآم السرياني

---

1 *Tr., on 1 Johm 10:8.*
2 *In 1 Cor., hom 11.*

٣ رسائل عيد الفصح: الثانية.
٤ رسائل عيد الفصح: الرابعة عشر.

5 *In Hebr. 3: 11.*
6 *Ad Eutropius 2: 5.*
7 *De Sacerdotis 6: 4.*
8 *On the Theophany or Birth of Christ .14.*
9 *Hom. In Ps 48, 8, PG 29:450 b.*
10 *De Beatitudinibus,1.*
11 *De Beatitudinibus, 3.*
12 *De Oratione Dominica, 5.*
13 *De Oratione Dominica, 5.*
14 *De Hominis Oplficio 16:14 PG. 44:185 A.*
15 *De Beatitudinibus, 8.*
16 *Cf. Confessions 13:8,9; On The Happy life, 11.*
17 *On the True Religion 11:21.*
18 *Confession 1:1:1.*
19 *On Ps. 56:2.*
20 *Homilies on the Psalms, 21.*
٢١ الميمر ١. (راجع نص الدكتور بهنام سوني).
22 *In Ioan hom 72: 5.*

القمص تادرس يعقوب ملطي.